خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/٢/١٣

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

إن أجلى صور اِتّباع أسوة النبي ﷺ في هذا العصر نراها في سيرة المسيح الموعود والمهدي الموعود عليه السلام، الخادم الصادق لرسول الله ﷺ.

لقد ذُكرتْ في الخطب السابقة عبادة النبي ﷺ، ونصائحه بهذا الخصوص للمؤمنين به، والحوادث التي علّم فيها طرق العبادة وأساليب ذكر الله تعالى.

أما اليوم فسأذكر ما وصلنا من أعمال قام بها المسيح الموعود عليه السلام في اتّباع سيده ﷺ.

يقول مرزا بشير أحمد رضي الله عنه: كتب إلي مرزا دين محمد من "لنغروال" محافظة غورداسبور ما يلي:

لقد رأيت المسيح الموعود عليه السلام منذ صغري. وأول مرة رأيته في حياة مرزا غلام مرتضى حين كنت طفلا صغيرًا. كانت عادته منذ ذلك الوقت أنه كان ينام مبكرًا بعد العشاء، ثم كان يستيقظ في الساعة الواحدة ليلا لصلاة التهجد، وكان يشرع في تلاوة القرآن الكريم بعد التفرغ من صلاة التهجد، ثم عند أذان الفجر كان يصلي ركعتي السنة في البيت، ثم يتوجه إلى المسجد ويصلي هناك صلاة الجماعة. كان يؤم الصلاة بنفسه أحيانًا وفي أحيان أخرى كان يؤمها ميان جان محمد إمام المسجد. وبعد عودته من الصلاة كان ينام قليلا. لم أره يصلي السنة في المسجد، بل كان يصليها في البيت. (سيرة المهدي رواية رقم ٤٩١)

يصف المسيح الموعود عليه السلام حال عبادته فيقول بأن الله تعالى قد وهب له قوة خاصة على أداء العبادة، لكنه يؤكد أنه ليس لكل واحد أن يقوم بها ويعمل بما يفوق طاقته، لأن الله تعالى قد منحه قوة خاصة لذلك.

على أية حال، إليكم الوصف الذي رسمه حضرته لحاله، يقول حضرته:

"لم أقم بالرياضات الشاقة قطُّ، كما لم أخُض في المجاهدات الشاقة على شاكلة بعض الصوفية المعاصرين، ولم أنعزل في إحدى الزوايا مدةً، ولم أرتكب خلاف السنة أي عمل يدلُّ على الرهبانية ويعارض كلام الله

عز وجل. بل ظللت على الدوام متبرئًا من هؤلاء الزهّاد المعروفين والمبتدعة الذين يغرقون في أنواع البدع، إلا أنه في أيام حياة والدي، بل حين اقتربت وفاته اتفق لي أن رأيت مرة في المنام شخصًا من أهل الله متقدِّمًا في السنّ، جميل المظهر، فقال لي ما مفاده: مِن سنة معشر الأنبياء الصيامُ لبعض الأيام من أجل استقبال الأنوار السماوية، وأشار إليَّ أن أتأسّى بسنة معاشر الأنبياء هذه. (أي: إن الصيام من أجل استقبال أنوار الله السماوية من سنة الأنبياء، وهناك إشارة في إعلام الله تعالى حضرتَه عن ذلك في الرؤيا أنه سيرزقه هذه المكانة، يقول حضرته:) فرأيت من المناسب أن ألتزم الصيام لفترة من الزمان. وللتو خطر ببالي أن من الأفضل أن أقوم بذلك سرًّا. فكنت أطلب طعامي من البيت إلى غرفة الضيوف وأوزعه سرًّا على الأيتام الذين كنت قد أكّدت عليهم سلفًا ليحضروا في الوقت المحدَّد. وهكذا كنت أصوم طول النهار، ولم يعرف عن هذا الصيام إلا الله.

وبعد أسبوعين أو ثلاثة رأيت أنني لم أتعرّض لأي نوع من الأذى بسبب الصيام الذي آكل فيه مرة واحدة فحسب، لذلك عليَّ أن أقلِّل من قدر هذه الوجبة الوحيدة أيضًا، فطفقت أقلِّل من طعامي منذ ذلك اليوم حتى كنت أكتفي برغيف واحد فقط في اليوم والليلة، وبقيت أقلله حتى صار طعامي يعادل بضعة عشرات الجرامات من الخبز خلال اليوم والليلة. (أي لم يكن طعامه خلال أربع وعشرين ساعة سوى الشيء القليل من الخبز) لقد استمر بي الحال على هذا المنوال لمدة ثمانية أو تسعة شهور، وعلى ضآلة الطعام الذي كنت أتناوله، والذي لم يكن ليصبر عليه ابن شهرين أو ثلاثة أيضًا، إلا أن الله تعالى قد حفظني من كل سوء ومكروه. ومن العجائب التي حظيت بها من خلال هذا النوع من الصيام تلك المكاشفات اللطيفة التي كُشفت عليَّ؛ فقد قابلت العديد من الأنبياء الكرام، وكذلك بعض كبار الأولياء والصلحاء الذين خلوا في هذه الأمة. وقد رأيت رسول الله ﷺ بحالة اليقظة التامّة وهو في رفقة الحسنَين وعليّ وفاطمة ﷺ. ولم يكن ما رأيته رؤيا وإنما كان في حال اليقظة. فعلى هذا المنوال قابلتُ العديد من المقدسين الذين يطول ذكرهم. وبالإضافة إلى ذلك رأيت الأنوار الروحانية على وجه التمثيل كأعمدة لها ألوان مختلفة كالأخضر والأحمر، وكانت من الجمال وقوة التأثير ما يعجز الإنسان عن وصفه. وكانت تلك الأعمدة النورانية المتصاعدة نحو السماء، (أي كانت تتصاعد من الأرض إلى السماء) التي كان بعضها ناصع البياض وبعضها أخضر وأخرى حمراء، كلها كانت تتصل بقلبي اتصالا خاصا يبعث السرور في القلب، حتى كنت أشعر عند مشاهدتها في قلبي وروحي بنشوة خاصة لا سبيل لمقارنة لذَّتها مع أي شيء آخر. وكنت أتصور أن تلك الأعمدة الروحانية تعبيرٌ عن الحب المتبادل بين الله والإنسان، ويعني ذلك أن نورا قد تصاعد من القلب ونورا آخر قد نزل من فوق، وحين التقيا أخذا شكلَ عمود نوراني. (أي كانت هذه الأنوار تتصاعد من الأرض والأخرى تنزل من السماء وتتلاقى فتتشكل أعمدة متكاملة) إن هذه

الأمور الروحانية مما لا يمكن لأهل الدنيا أن يدركوها، لأنها بعيدة عن عيونهم، ولكن هناك مَن مَنَّ الله عليه في الدنيا بإدراك هذه الأمور.

باختصار، من العجائب التي ظهرت عليَّ في فترة الصيام تلك ضروبٌ من المكاشفات.

واستفدت من خلال هذه التجربة أيضًا أنني تبيّنت بعد هذه المجاهدات أني أقدر، إذا اقتضى الحال، على تحمُّل الجوع لفترة طويلة من الزمن. وخطر ببالي أكثر من مرة بأنه إذا أُجبر شخصٌ ضخمٌ مصارعٌ قويٌ على أن يتحمَّل الجوع معي، فسوف يموت قبل أن أضطر لتناول شيءٍ من الطعام. وتأكد لي من خلال هذه التجربة أن الإنسان يستطيع أن يتقدَّم في تحمُّل الجوع إلى حدّ بعيد، وإنني على يقين أن مَن كان جسمه لا يتحمَّل المشقة والشدة بل يخلد إلى حياة التنعُّم والراحة فلا يسمو إلى المراتب الروحانية. ولكني لا أنصح كل واحد أن يقوم بمثل هذا الصيام، كما لم أقم به أنا أيضًا بناء على اختياري. (بل قمت به بأمر من الله تعالى) لقد رأيت بعض الدراويش الأغبياء الذين قاموا بمجاهدات شاقة حتى أصيبوا بالجنون في نهاية المطاف نتيجة "نقص التروية" للدماغ (أي أصيبوا بنوع من الجفاف في الدماغ فبَطُل عملُه) وقضوا بقية أعمارهم في الجنون، أو أصيبوا بأمراض أخرى مثل السل وغيره. إن قوى الناس الدماغية ليست سواسية، فالناس الذين قواهم الفطرية ضعيفة لا تناسبهم المجاهدة الجسدية من أي نوع، ويصابون بمرض خطير سريعا. (إن الإسلام دين الاعتدال ولا تتأتى مثل هذه المجاهدات إلا بتأييد الله تعالى، لذلك قال حضرته بألا يحاول كل واحد العمل بما فعلته، إذ لا يقدر الجميع على القيام به، قال حضرته:) وخير للإنسان ألا يوقع نفسه في المجاهدات الشديدة باختيار نفسه بل ينبغي أن يظل متمسِّكًا بدين العجائز. (أي على المرء أن يستفيد من رُخص الدين، ويعمل بأحكام الدين المعروفة والسنَّة) غير أنه إذا تلقَّى من الله إلهاما غير مناف لشريعة الإسلام الغراء فالعمل به واجب. أما المجاهدات التي يعلِّمها معظم الزهاد الجهلة في العصر الراهن فليست عاقبتها محمودة، لذلك ينبغي اجتنابها". (كتاب البراءة)

في العصر الراهن أيضا يقول البعض أن افعلوا كذا وافعلوا كذا، ويجب عدم الاستجابة لهم. بل في العصر الراهن يقال بعض هذه الأمور في البرامج التلفزيونية أيضا، وعلى المرء أن يتوخى الاعتدال، ويسعى للعمل بأداء حقوق الله وحقوق العباد قدر المستطاع، ويسعى لإحراز أقل معيار علَّمه النبي ﷺ للعبادة حتما، ثم يتقدم، فالتقدم يحدث تدريجا. باختصار قد نهى الإسلام عن إلقاء النفس في المشقة دونما سبب، وعن ذلك نهى عليه السلام أيضا.

كيف كان حاله في الطفولة فقد ورد في رواية عن البنَّاء فقير محمد: كان والدي حِيوا يخبرنا أن حضرة المرزا مرة سقط من سطح الغرفة، وأصيب بجرح بالغ، فلما عرفنا أن سيادة المرزا سقط من السطح ذهبنا لنطمئن عليه، فلما أفاق حضرته سأل هل حانت الصلاة أم لا؟ فلهذا الحد كان يحب الصلاة، عندما كان والدي يقص ذلك كنت صغيرا.

لقد أورد مرزا بشير أحمد ﵁ رواية حضرة الدكتور مير محمد إسماعيل ﵁ الذي قال: لقد سنحتْ لي فرصة قضاء شهر رمضان كاملا في قاديان في عام ١٨٩٥، ووُفقت لأداء صلاة التهجد – أي صلاة التراويح– خلف حضرته شهرًا كاملاً.

كان دأب حضرته أن يؤدي صلاة الوتر في أول الليل، أما في آخر الليل فكان يصلي ٨ ركعات صلاة التهجد مثنى مثنى، وكان يقرأ آية الكرسي (أي من الله لا إله إلا هو إلى وهو العلي العظيم) دوما في الركعة الأولى منها، وفي الركعة الثانية سورة الإخلاص، وكان يُكثر في الركوع والسجود من ورد: يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث، وكان يقرأه بصوت كنت أقدر على سماعه. (أي كان يقرأ بصوت غير مرتفع كثيرا ولا خافت جدا) وكان يتناول السحور دومًا بعد أداء التهجد، وكان يستمر في تناول السحور لدرجة أنه أحيانًا كان يؤذَّن للفجر وهو لا يزال يأكل، وكان أحيانًا يواصل تناول السحور حتى نهاية أذان الفجر.

هنا كتب حضرة مرزا بشير أحمد ﵁ فقال:

أقول: المسألة الصحيحة أن التسحّر إلى طلوع الصبح الصادق من المشرق يجوز، ولا علاقة لنهاية السحور بالأذان. لكن لما كان توقيت أذان الفجر مرتبطا بطلوع الصبح الصادق فقد اعتبر الناس الأذان نهايةً لوقت السحور.

(ثم قدم مثالا، فقال): لما كان أذان الفجر يُرفَع عند طلوع الصبح الصادق فمن المحتمل أن يرفع قبل الوقت أيضا خطأ أو لعدم الاحتياط في تقديره لذلك كان المسيح الموعود ﵇ يواصل تناول السحور حتى يتبين له موعد الصبح الصادق ولم يكن يتقيد بالأذان. وليس مراد الشريعة في هذه المسألة أنه إذا حُدّد بداية الصبح الصادق من الناحية العلمية الدقيقة فينبغي ترك الطعام عندها فورًا، بل مرادها أنه ينبغي التوقف عن تناول الطعام عندما يظهر سفور الصبح عند عامة الناس، وهذا هو مدلول كلمة "يتبين". فقد ورد في الحديث أيضا أن النبي ﷺ قال: لا تتوقفوا عن السحور عند أذان بلال بل يمكنكم مواصلته حتى أذان ابن مكتوم، وذلك لأن ابن مكتوم كان ضريرًا ولم يكن يرفع الأذان ما لم يُثر الجميع ضجة أنه قد أسفر الصباح. باختصار قد تطور العصر الآن أكثر، ويمكن معرفة طلوع الصبح الصادق بالأجهزة الحديثة ولذلك فقد حُدد الأذان نهايةَ التسحر، فلهذا تبذل الجهود لتكون دقيقة، ومن المحتمل أن يحدث خطأ أيضا، فإذا رُفع الأذان مبكرا خطأ، فيجب العمل بحسب المبدأ المذكور.

قد اقترب رمضان فلذلك كان هذا التوجيه. ويجب أن لا يتهاون الناس حتى يترقبوا هل طلع الفجر أم لا. على كل حال، إن مواعيد الأذان عندنا تحدد بمنتهى الدقة الحسابية. فلما كان هذا العصر أحدث من ذلك الزمن لذا فاحتمال الخطأ ضعيف عموما، إذن يجب متابعة الإمساكية التي تعدّ بحسب مواعيد الطلوع والغروب في كل منطقة وفي كل بلد.

لقد أورد حضرة مرزا بشير أحمد ﵁ رواية عن مفتي محمد صادق ﵁ أنه قال:

صلينا مرة في حياة المسيح الموعود عليه السلام صلاة الاستسقاء فحضرها حضرته عليه السلام أيضا، ولعل المرحوم المولوي محمد أحسن أمَّ الصلاة. لقد بكى الناس كثيرًا في هذه الصلاة. ولما كان حضرته يتحلى بكمال ضبط النفس والمشاعر فلم أره يبكي، وأتذكر أنه بعد هذه الصلاة خلال وقت يسير تلبدت السماء بالغيوم ونزل المطر، وربما نزل في اليوم نفسه.

هنا يجب ألا يخطرنَّ ببال أحدكم، أن حضرته لم يكن يبكي في الصلاة، كلا بل نجد روايات تفيد بأن حضرته عليه السلام كان يتعبد اتباعا لسيده بحيث كان يصدر من صدره صوت كما يغلي القِدر، إذ كان يبكي بضراعة وحرقة وهو ساجد.

لقد روى حضرة مرزا بشير أحمد رضي الله عنه عن حضرة أم المؤمنين نصرت جهان بيغم رضي الله عنها قالت: كان المسيح الموعود عليه السلام بالإضافة إلى التزامه بالصلوات الخمس يؤدي عمومًا نوعين من صلاة النفل، أحدهما صلاة الضحى (ركعتان أو أربع ركعات) التي كان يصليها أحيانًا ولم يكن يداوم عليها. ثانيهما صلاة التهجد (ثماني ركعات) التي كان يداوم عليها إلا إذا كان مريضًا جدًّا، إذ إنه في هذه الحالة كان يدعو الله تعالى مضطجعًا على السرير. أما في آخر عمره فكان يصلي صلاة التهجد جالسًا عمومًا جراء الضعف.

يقول حضرة المولوي يعقوب علي رضي الله عنه أن حضرته عليه السلام كان يسافر لمتابعة القضايا في المحكمة استجابة لأوامر والده فقط، وهناك كان يهتم بألا تفوته أي صلاة، فلم يفوِّت أي صلاة مطلقا. ولم يكن يغفل قط عن الفرائض المتعلقة بحقوق الله سبحانه وتعالى، فأثناء المحاكمة كان ينصرف إلى أداء الصلاة، وكأنه لا شغل له هناك، وقد حدث أحيانا أنه كان يصلي فنودي من القاضي فظل يكمل الصلاة بطمأنينة القلب تماما. ذات مرة قال عليه السلام: ذهبتُ مرة لمتابعة قضية في المحكمة في بطالة فحان وقت الصلاة وبدأتُ أصلي، فناداني الموظف لكنني كنت في الصلاة، فمثُل الفريق الثاني وأراد أن يستغل غيابي وأصر على القاضي أن يحكم بناء على مثول فريق واحد، لكن القاضي لم يبال به مطلقا، بل حكم ضدهم وأعلن الحكم لصالحي أنا.

عندما انتهيتُ من الصلاة وذهبت، كنت أظن أن الحاكم ربما لاحظ غيابي من الناحية القانونية. فالقانون يقول إذا لم يحضر أحد الطرفين، يُصدر الحكم ضده. ولكن عندما حضرتُ وقلتُ إني كنت أصلي، قال لي: لقد أصدرتُ الحكم لصالحك. هذه أيضًا من بركات العبادة، حيث أرى الله تعالى هذه الآية بفضله.

روى حضرة مرزا بشير أحمد رضي الله عنه عن السيدة أم المؤمنين رضي الله عنها أن المسيح الموعود عليه السلام إذا صلى بنا صلاةَ المغرب في البيت أحيانًا كان يتلو جزءًا من سورة يوسف الذي يحتوي على الآية التالية: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾. (يوسف: ٨٧) يقول مرزا بشير أحمد رضي الله عنه: كان صوت المسيح الموعود عليه السلام يفيض بالألم والحرقة، وكانت قراءته الجهرية على صورة موجات متناغمة. (سيرة المهدي، رواية رقم ٨٥).

وكذلك روى مرزا محمد دين ﷺ أن حضرته كان يؤدي الصلوات المفروضة في المسجد، بينما كان يؤدي السنن والنوافل في البيت. وكان بعد صلاة العشاء ينام، ثم يستيقظ بعد منتصف الليل ويؤدي النوافل، ثم يقرأ القرآن الكريم. وكان يشعل مصباحًا طينيًّا ويواصل التلاوة حتى أذان الفجر.

وقد كتب أحد كتّاب السيرة أن المسيح الموعود عليه السلام كان يعشق القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ، وأن عباداته لم تكن تتجاوز حدودَ القرآن والسنة قط. وكان شديد الالتزام بصلاة التهجد إلى جانب الصلوات الخمس. وكان يؤدي صلاة الإشراق أيضًا، إلا أن اهتمامه الكبير كان بصلاة التهجد. وكان توجهه إلى الله وانغماسه في الصلاة شديدًا لدرجة يبدو معها كأنه ليس في هذا العالم. وكان في صلاة التهجد يقرأ سورة الفاتحة بغاية من الحرقة والخشوع، ويكثر من الدعاء.

وفي البداية، إذا لم يجد حضور القلب في الصلاة، أعادها مرارًا، ويقول: هذه الوصفة تعلّمتُها من شارب خمر. فقد قال حضرته: في إحدى المرات لم أجد حضور القلب في الصلاة، فخرجت إلى الغابة لأصلي هناك. وفي الطريق كان لا بد من المرور بالسوق، فسمعت رجلا من الهندوس يقول لصاحبه: لقد شربنا البارحة كأسا من الخمر فلم نسكر، فشربنا كأسا ثانية. ولما لم نسكر منها أيضًا شربنا ثالثة، وظللنا نكرر الشرب حتى بلغنا حد السكر. قال حضرته: فخطر ببالي أن أصلي أنا أيضًا مرارًا وتكرارًا حتى أبلغ النشوة الروحانية. (وكان هذا في شأن النوافل، أما الفرائض فلا تعاد بطبيعة الحال، فقال بخصوص النوافل: سأصليها مرارًا حتى أسكر، أي حتى أحصل على حضور القلب.)

بالإضافة إلى الصلاة، كان وِرْده اليومي يشمل تلاوة القرآن الكريم والصلاة على النبي ﷺ والاستغفار. أما القرآن الكريم فكان يعشقه، ويتلوه ليلًا ونهارًا، وقياما وقعودا ومشيًا. وكان يبكي بكاءً شديدًا، (وما ذكرتُ سابقًا أنه لم يَبْكِ في الصلاة لا يعني أنه لم يكن يبكي مطلقًا، بل كان يبكي ويتأثر ويرقّ قلبه عند تلاوة القرآن الكريم أيضًا.) وكان يكثر من الصلاة على النبي ﷺ بحضور، ويقرأها بألم شديد حتى كان في بعض الأحيان يصاحبها البكاء والتضرع.

وفي مناسبة ما، عند الحديث عن صلاة الإشراق، تحدث المسيح الموعود بنفسه عن أهمية العسل وارتباطه بالطب والعبادة. حيث كان الحديث يدور حول العسل ومرض السكري، وهل ينبغي تناول العسل في حالة السكري أم لا؟ فقال:

"كنتُ أعاني بشدة من مرض السكري، ويقول الأطباء إن استخدام السكر في حالة الإصابة بالسكري مضر جدا. (أي عندما يصاب الإنسان بداء السكري فإن تناول السكر يكون مضرًا جدًّا. فيقول:) كنت أفكر اليوم في هذا الأمر فخطر ببالي أن السكر الموجود في الأسواق يصنعه الفساق والفجار عادة فلا غرابة إذا كان مضرا، أما العسل فيُصنع بوحي من الله تعالى، لذا يجب ألا يكون تأثيره مثل تأثير الأنواع المختلفة للسكر قط. وإذا كان العسل أيضًا مثل بقية أنواع السكر، لقيل عنها كلها: فيها ﴿شِفَاء لِلنَّاسِ﴾،

ولكن خص العسل وحده بذلك. فهذه الخصوصية تدل على نفعه. وما دام العسل مصنوعا بالوحي فمن المؤكد أن النحل ينتقي الأجزاء المفيدة فقط عندما يجمع رحيق الأزهار. فبناء على ذلك تناولتُ قليلا من العسل بخلطه بدواء شعبي آخر "كيورا"، فشعرت بعد قليل بنفع كثير، حتى وجدتُ نفسي قادرا على المشي، فقد كنت قبل ذلك قد أصبت بضعف شديد بسبب السكري، ثم ذهبتُ مع أهل بيتي إلى الحديقة وصليت هناك صلاة الضحى عشر ركعات".

يروي المفتي محمد صادق ﷺ أنه في إحدى المرات وقع زلزال عنيف جدًّا، فبدأت جميع المباني والأشياء تهتز وتتمايل، وأصيب الناس بالحيرة والذعر والقلق. وفي مثل هذا الوقت كانت حال مسيح الله جديرة بالمشاهدة، لأننا كنا نقرأ في الأحاديث أن النبي الكريم ﷺ كان يُظهر على وجهه أثر خشية الله الشديدة عند وقوع مثل هذه الأحداث السماوية والأرضية، فكان عليه السلام يضطرب بمجرد ظهور سحابة صغيرة، فيخرج تارةً ويدخل أخرى. والخلاصة أنه في ذلك الوقت أيضًا أثبت نبي الله بشكل عملي صحّة المقولة الفارسية "هر كه عارف تر است ترسان تر است" أيْ أن من كان أكثر معرفة بالله كان أكثر الناس خشية منه. باختصار، بمجرد حدوث الزلزال انشغل حضرته عليه السلام مع أهل بيته وأولاده بالدعاء في حضرة الله تعالى، وسجد أمام ربه. وظلت الأسرة بأكملها مع الخدم تدعو الله لوقت طويل في القيام والركوع والسجود، خائفين ومرتعدين من استغناء الله تعالى.

وقال حضرة المصلح الموعود ﷺ وهو يتحدث عن أهمية الصلاة جماعة: بما أن الناس في هذه الأيام يسكنون على مسافات بعيدة، (كان المجيء إلى المساجد صعبًا، ولأن المسافات كانت بعيدة في ذلك الزمن ولم تكن هناك وسائل نقل، فكان الناس يصلون في بيوتهم. فقال المصلح الموعود ﷺ) فلا ينبغي أداء الصلاة منفردًا في البيوت، بل يجب أداؤها جماعة. وقال: إن إحدى طرق أداء الصلاة جماعة هي أن يُصلي الإنسان في بيته جماعة مع زوجته وأولاده. فإذا لم تستطيعوا الذهاب إلى المسجد فصلوا جماعة في البيت. ثم قال حضرته: إنه بسبب بُعد المسافات اعتاد الناس على الصلاة منفردين، وقلّ في قلوبهم أهمية صلاة الجماعة – وهذا ما نراه اليوم أيضًا – لذلك اتركوا هذه العادة واعتادوا على صلاة الجماعة. فاليوم أيضًا حيثما يوجد تقصير فيجب على الناس الانتباه والصلاة مع الأطفال في البيوت، فبهذا سيعتاد الأطفال أيضًا على الصلوات. ثم أعطى حضرته ﷺ مثال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قائلًا إنه في مثل هذه المناسبات عندما لم يكن حضرته عليه السلام يستطيع الذهاب إلى المسجد للصلاة فكان يُصلي جماعة في البيت، ونادرًا ما كان يصلي منفردًا إلا لضرورة قاهرة. وكان في أغلب الأحيان يُصلي جماعة مع والدتنا، وكانت نساء أخريات يشاركن الوالدة.

روى السيّد زين العابدين وليّ الله شاه ﷺ قائلًا: في عام ١٩٣٥م ذهبتُ إلى سيالكوت، وهناك التقيتُ بامرأةٍ مسنّةٍ جدًّا تُدعى "ماي حياة بيبي"، وهي ابنة فضل الدين ووالدة الحافظ محمد شفيع القارئ. وحين

وجدت فرصة لقائها، وجدتها جالسةً على عتبة منزلها. لم نستطع أن نعرفها نحن، لكنها عرفتنا. قالت: السلام عليكم، ثم قالت: تعالوا إلى هنا من فضلكم. كان عمر تلك السيدة في ذلك الوقت مائة وخمس سنوات. فقالت: في زمن المفسدة في عام ١٨٥٧ حين كانت الفوضى سائدة هنا، (وأخبرت أيضا عن طول عمرها) وعندما أُضرمت النار في المكاتب والمحاكم، كنت عندئذ شابة. على أية حال، بعد ذكر ذلك قالت السيدة في أثناء حديثها: أعرف حضرة الميرزا المحترم، أي المسيح الموعود عليه السلام منذ أن جاء إلى سيالكوت لأول مرة وأقام هنا في فترة وظيفته. إن عمر حضرة المرزا المحترم في ذلك الوقت كان بحيث كانت شواربه في طور النمو ولم تكن لحيته قد نمت بالكامل بعد. بعد المجيء إلى سيالكوت، جاء حضرته إلى منزل والدي وناداه وقال: "ميان فضل الدين: وفِّر لي بيتك الثاني للإقامة فيه. (كان حضرته ينوي أن يستأجر هذا البيت) فتح والدي الباب ودخل حضرته. وضع والدي الماء والسرير والسجادة وما شابهها. كذلك وضع أمتعة حضرة المرزا المحترم أيضا. كانت من عادة المسيح الموعود عليه السلام أنه عندما كان يعود من المحكمة يدعو أبي أولاً ويأخذه معه إلى المنزل. كان حضرته كثيرا ما يجالس والدَنا. كان طعامه عليه السلام أيضا يُطبخ في بيتنا، فيوصله والدي إليه. كان حضرة المرزا المحترم يدخل البيت ويغلق الباب ويذهب إلى الفناء ويستمر في قراءة القرآن كما قال والدي. كان والدي يقول إن حضرة الميرزا المحترم كان في أثناء قراءته للقرآن الكريم يخر أحيانا للسجود ويسجد سجدات طويلة ويبكي حتى تبتل الأرض. قالت الراوية عدة مرات في أثناء سرد حديثها عن المسيح الموعود عليه السلام: "فدت نفسي اسمه". وأدلت بهذا البيان في حضور ابنها.

وقد ذكر الشيخ يعقوب علي عرفاني رواية رواها المولوي مير حسن الذي كان أستاذا للدكتور العلامة إقبال، تفيد أن حضرة الميرزا المحترم كان في البداية يقيم مستأجرا في حارة "كشميريان"، القريبة جدا من بيت هذا العبد الفقير (كان يقيم في بيت مستأجَر يملكه شخص اسمه عُمر الكشميري). كلما كان يأتي من المحكمة ينشغل في تلاوة القرآن الكريم، وكان يتلوه جالسا وواقفا وماشيا ويبكي بكاءً شديدا، وكان يتلوه بخشوع وخضوع لا مثيل له.

ثم يقول: كان أصحاب الحاجات يأتونه- بحسب التقاليد السائدة في ذلك الزمن- من أجل الأمور المتعلقة بالمحكمة وللشفاعة كما يذهبون إلى الموظفين العاديين لكي يُحكم في قضاياهم لصالحهم. هذه هي عادة الناس أنهم يذهبون للشفاعة إلى من يعمل في أيّ محكمة ليشفع لهم، فكان الناس يأتون حضرته عليه السلام أيضا)

يستأنف الراوي قائلا: كان السيد فضل الدين الأخ الأكبر لعُمر، صاحب المنزل، وكان يُنظر إليه في الحارة بنظرة احترام عموما. ذات مرة، عندما رأى المسيح الموعود عليه السلام الناس جالسين حوله في المحكمة، دعا ميان فضل الدين وقال: "ميان فضل الدين، انصحْ هؤلاء الناس ألا يأتوا إلى هنا، فلا يضيعوا وقتهم ولا

يهدروا وقتي. أنا لا أستطيع فعْل شيء، أنا لست حاكما، كل ما يتعلق بي أقوم به في المحكمة فقط". وبالفعل كان ميان فضل الدين يشرح لهم الموضوع ويشير عليهم بالانصراف.

يروي منشي عبد الواحد- غير الأحمدي من مدينة بتيالة- عن تلاوة المسيح الموعود عليه السلام للقرآن الكريم قائلاً: كان حضرته عليه السلام في عمر الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة يقرأ القرآن الكريم طول النهار ويكتب الملاحظات على الحواشي.

يقول سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه عن المسيح الموعود عليه السلام إنه قد أتيحت له الفرصة في طفولته في حياة والده أن يشاهد حادثا مريرا حتى برَدت نفسه عن الدنيا، فحين كان عليه السلام طفلا صغيرا جدا كانت كل رغباته منصبّة على نيل رضا الله تعالى. يقول الشيخ يعقوب علي مؤلف سيرته عليه السلام، في بيان سوانح حياته حادثا غريبا يتعلق بطفولته المبكرة جدا: حين كان عمره عليه السلام صغيرا جدا كان يقول لفتاة في سنه وتزوجها لاحقا: ادعي الله أن يوفقني للالتزام بالصلاة تربت يداك.

يتبين من هذه الجملة التي قالها عليه السلام في طفولته المبكرة أيّ مشاعر كانت زاخرة في قلبه عليه السلام منذ الطفولة المبكرة، وكيف كان الله وحده مركز رغباته. وتتبين أيضا الفطنةُ التي كانت قد نشأت فيه منذ الطفولة، لأن هذه الجملة توحي بأنه عليه السلام كان حتى في ذلك الوقت يؤمن بأن الله وحده قادر على سد جميع الحاجات. وكان يعلم أنه سبحانه وتعالى وحده موفِّق للعبادة. أي أن الله تعالى هو الموفِّق في خلق الرغبة في أداء الصلاة وهو وحده قادر على تحقيق هذه الرغبة. لقد نشأ عليه السلام في بيت كان الصغار والكبار فيه يحسبون الدنيا إلههم، ففي هذه الأجواء لا يمكن أن يصدر الكلام المذكور آنفا - لإحداث تغيير عظيم في العالم - إلا من قلب كان طاهرا تماما من دنس الدنيا ومؤيدا من الله تعالى.

يروي مفتي محمد صادق أن المسيح الموعود عليه السلام قال: إنني معتاد على الصيام منذ الطفولة. ذات يوم صمت في الطفولة ومرضت، إلا أنني صمت بعدها ٢٩ يوما كلها ولم أتأذَ. عندئذ كان لي عيد الفرحة. فللصيام بركات خاصة، فكما أن لكل فاكهة طعما خاصا، كذلك في كل عبادة متعة خاصة. هذه العبادات تتضمن روحانية لا يقدر الإنسان على بيانها. إذا وُجدت رغبة وشوق فهو يقلل الإيذاء والمعاناة. ينبغي أن تصير روح الإنسان رقيقة جدا وتسيل كالماء لتصل إلى الله.

يقول المولوي سراج الدين، والد الزعيم المعروف ظفر علي خان، محرر جريدة زميندار، عن انشغالات المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في أثناء إقامته في سيالكوت: في عام ١٨٧٧م حظينا بشرف الضيافة ليلة واحدة في منزله في قاديان. وفي تلك الأيام أيضا كان مستغرقا في العبادة والأوراد إلى درجة أنه كان لا يتحدث حتى مع الضيوف إلا قليلا.

وروى مرزا بشير أحمد رضي الله عنه رواية أخرى وقال: يروي السيد عبد الرحمن القادياني أن المسيح الموعود عليه السلام قال- قبل عيد الأضحى ١٩٠٠م بيوم واحد، وهو يوم الحج (يوم عرفة) - للمولوي نور الدين رضي الله عنه،

خليفة المسيح الأول: أريد أن أقضي هذا اليوم، يوم الحج (يوم عرفة)، في أدعية خاصة، فخذْ من الإخوة الذين يريدون تقديم طلبات الدعاء أسماءَهم واصنعْ قائمة وأرسلْها إليّ. فيقول الراوي: في ذلك اليوم وصلت طلبات الدعاء إلى المسيح الموعود عليه السلام بكثرة بواسطة المولوي نور الدين رضي الله عنه. كما أرسل بعض الإخوة طلباتهم الخطية مباشرة إلى حضرته. فلما كان كثير من الإخوة في تلك الفترة يأتون بمناسبة العيد إلى قاديان من خارجها لأداء صلاة العيد ولقاء المسيح الموعود عليه السلام، فقد انضموا هم أيضا إلى هذا المشروع الغيبي، فقُضي هذا اليوم في قاديان في أدعية خاصة وتضرعات غير عادية وبركات عظيمة.

لقد عبّر المسيح الموعود عليه السلام في أحد المجالس عن رغبته العارمة المختلجة في قلبه لأداء الصلاة جماعةً فقال: إن حالة رأسي ليست على ما يرام اليوم أيضا، حيث أشعر بالدوار. عندما تحين الصلاة أفكر أن الصلاة ستقام جماعة وسوف يكون فيها الجميع ولكني لن أكون فيها (أي أن الناس يكونون قد اجتمعوا وسيصلون جماعةً، ولكني لا أصلي معهم بسبب مرضي) فأتأسف على ذلك، وأحضر صلاة الجماعة بصعوبة بالغة. (أي اليوم أيضا أعاني الدوار ومع ذلك قد حضرت المسجد بصعوبة بالغة. ثم قال:) على كل حال، أبذل جهدي وأحضر المسجد ولو بصعوبة، وهذا لا يحدث مرة، بل يحدث مرارا، وهذا ما حصل اليوم أيضا.

في أيام المرض أيضا كان عليه السلام يبذل جهده ليؤدي الصلاة جماعةً.

وقال حضرة المولوي عبد الكريم السيالكوتي أيضا: إن مكان زيارته عليه السلام كان هو المسجد عادةً، إذ يداوم على أداء الصلوات الخمس جماعةً في المسجد إن لم يكن به مرض، ويوصي بشدةٍ بالصلاة مع الجماعة. ولقد قال مرارا: لا شيء يحزنني أكثر من فوات الصلاة جماعةً.

وكتب حضرة المولوي أيضا:

أتذكر جيدا أنه في الأيام التي كان فيها عدد الزوار قليلا كان عليه السلام يتمنى أمنيةً عارمة أن تكون له جماعةٌ ليصلي معهم الصلوات الخمس جماعةً، وكان يقول: إني أدعو الله لذلك وآمل أنه سيستجيب دعائي. (ويقول حضرة المولوي:)

ومِن فضل الله اليوم (أي وقتَ كتابة المولوي لهذه الواقعة) أنّ عدد المصلين يبلغ الآن ما بين ثمانين وتسعين مصليا. (وأقول: أما اليوم فتوجد مساجدنا في كل بلد، فعلينا أن نسعى جاهدين لعمران مساجدنا وأن نصلي الصلوات الخمس كلها جماعةً. وكتب حضرة المولوي أيضا:)

بعد أداء فرائض الصلاة يدخل عليه السلام بيته فورًا ويشتغل بأعمال الكتابة والتأليف. ثم بعد صلاة المغرب يجلس في المسجد بين الأحباب، ويتناول معهم الطعام أيضا هناك، وبعد أداء صلاة العشاء يذهب ويدخل بيته.

وروى حضرة عبد الستار: قبْل دعوى المسيح الموعود عليه السلام حين بُني المسجد الصغير "المسجد المبارك" كان يصلي جماعة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وكنا ثلاثة أشخاص نصلي وراءه: ميان غلاب، عبد الستار، وميان جان محمد. ولا أزال أتذكر الطريقة التي كان عليه السلام يصلي بها. أعني أنه كان يصلي كل صلاة في ميقاتها وبمنتهى التواضع والبكاء مثل الطفل الذي يبكي أمام والديه سائلا إياهما شيئا. ومثل هذه الصلاة كانت تترك في قلوبنا نحن المقتدين به وقعًا كبيرا. وهذا أول درس تلقيناه منه. وعندما كان المسيح الموعود عليه السلام يفرغ من صلاته ويجلس كنا ننظر إلى وجهه الذي كنا نجده نورانيا وكنا نُعجَب به جدا.

وكتب بير سراج الحق نعماني: سبحان الله، سبحان الله، كم كانت صلاة الجنازة التي يؤمّها المسيح الموعود عليه السلام رائعةً ومطابقةً للسنة. قد تصادف مئاتِ المرات أن صلّى عليه السلام جنازةَ الغائب والحاضر، وصلاها هذا العبد المتواضع خلفه. ذات مرة حين توفي المرحوم ميان جان محمد القادياني ذهب عليه السلام مع جنازته. كان ميان جان محمد المرحوم مِن محبي المسيح الموعود المخلصين، وكان حضرة الإمام الموعود عليه السلام هو الآخر يحبّ المرحومَ كثيرا، ومهما كان مشغولا بأعماله إلا أنه كلما جاءه المرحوم للزيارة كان يترك أعماله كلها ويلقاه. باختصار، حين حُمل جثمان المرحوم إلى المقبرة، صلى المسيح الموعود عليه السلام جنازته بالناس إماما، فأطال الصلاة حتى بدأت تتألم أقدام المصلين لطول القيام، وتوجع أيديهم المربوطة طويلا. أنا لا أستطيع أن أخبر عن حال الآخرين، أما أنا فقد ساءت حالتي جدا لطول القيام الذي لم أجربه من قبل، بل كانت تجربتنا السابقة هي أن صلاة الجنازة تنتهي خلال دقيقتين. فلما أفقتُ من حالي السيئة أدركتُ أن هذه هي الصلاة حقًا (أي عندها تيسّرَ له الإدراك الحقيقي للعبادة)، فبدأتُ أداوم على مثل هذه الصلاة، وأجد فيها متعة وسرورا، حتى تمنيت أن أطيل الصلاة أكثر (أي أن المسيح الموعود عليه السلام عوّد رفقاءه على مثل هذه الصلاة حتى إنهم بدأوا يستمتعون بها وقد اعترفوا بذلك) ويقول الراوي: لما فرغ المسيح الموعود عليه السلام من صلاة الجنازة سارَ عائدا إلى البيت، فقال له أحدهم: سيدي لقد أطلت الصلاة حتى أصابنا التعب والإرهاق، فكيف يكون حالك أنت؟ (أي لا شك أنك تعبت أيضا) فقال عليه السلام: ما لنا وللتعب؟ كنا ندعو الله تعالى ونسأله المغفرة للمرحوم، فهل يتعب السائلُ؟ إن الذي يتعب ويملّ السؤالَ يظل محروما. نحن السائلون، وهو المعطي، فلِمَ نتعب؟ الشخص الذي يعقد عليه السائل أملاً ضئيلا أيضا يسأله بإلحاح وإصرار، أما الله تعالى فإن جُلَّ آمالنا معقودة عليه، وإنه المعطي والوهاب والرحمن والرحيم، ثم إنه المالك والعزيز أيضا، فأي مجال للتعب والإرهاق في سؤاله سبحانه وتعالى.

وفقنا الله لأداء الصلوات بهذا التفكير. لقد عاهدْنا سيدَنا المسيح الموعود عليه السلام في عهد البيعة على أننا سنؤدي الصلوات وفقًا لحكم الله ورسوله، وسنصليها حامدين لله بتذكر مننه ونعمه تعالى. أعاننا الله على الوفاء بهذا العهد.

بعد الصلاة سوف أصلي جنازتين، أولاهما للسيدة أمة الشريف زوجة محمود أحمد بت، من قرية ديريانوالا بمحافظة نارووال، حيث وافاها الأجل وعمرها ٨٤ عاما. إنا لله وإنا إليه راجعون. بفضل الله كانت المرحومة منخرطة في نظام الوصية بالجماعة. كانت بنتَ أحد صحابة المسيح الموعود عليه السلام، وهو حضرة مولوي عمر دين رضي الله عنه من شاديوال بمحافظة غجرات، الذي كان قد تشرف، بناءً على رؤيا، بالبيعة على يد المسيح الموعود عليه السلام أثناء سفره إلى جِهْلُم عام ١٩٠٣.

لقد تركت المرحومة وراءها زوجها وستة أبناء وخمس بنات وكثيرا من الأحفاد والحفيدات. إن ابنها السيد آصف محمود بت يعمل داعيةً في دار السلام بتنزانيا، ولم يتمكن من حضور جنازتها ودفنها لكونه في مجال العمل هنالك. أحد أحفادها السيد أسامة بت أيضا يعمل داعية هنا. وزوج ابنتها أيضا يعمل داعية. فهذه الأسرة أسرة الواقفين حياتهم لخدمة الدين.

كتب ابن المرحومة السيدُ آصف محمود بت، الداعيةُ في تنزانيا: كانت أمي متحلية بمحاسن كثيرة جدا، وأبرزها التعلق بالله تعالى. كانت تتلقى أخبارا صادقة عبر الرؤى التي كانت تتحقق بكل جلاء. كانت تحب القرآن الكريم حبا جما، وقد ورثت هذا الحب من والدها العظيم. كل يوم بعد صلاة الفجر كانت تعلِّم أبناءَ وبنات الحارة بمن فيهم أولاد الأحمدين وغير الأحمديين. وكانت تحبّ تلاوة القرآن الكريم وسماعها، وكانت تسمعها مني أيضا. كنت أتوقف أثناء القراءة قليلا متعمدا لأرى ما إذا كانت تحفظ الكلمات التالية أم لا، فكانت لا تلبث أن تقرأ الكلمات التالية، وذلك رغم كبر سنّها. كانت قد حفظت القرآن الكريم كله تقريبا.

كانت تقول: قد نسِيت كلَّ شيء في كِبَر سنِّي، لكنَّ القرآن الكريم محفوظٌ عندي بفضل الله تعالى. وكان لها شغفٌ غيرُ عاديٍّ بكتب المسيح الموعود عليه السلام، فكانت تقرأ دائمًا أحد كتب المسيح الموعود عليه السلام. وكذلك كان لها ارتباط كبير بكتاب دُرّ ثمين وكلام محمود وبكتاب الشعر للخليفة الرابع للمسيح الموعود عليه السلام، وكانت تحفظ كثيرًا من القصائد.

وصهرُها الداعية السيد مسعود يقول: لما ذهبتُ إلى قاديان قالت لي: امشِ هناك قدرَ المستطاع على قدميك، فإن المسيح الموعود عليه السلام كان يمشي في أزقَّتها على قدميه. نسأل الله تعالى أن يعاملها بالمغفرة والرحمة، وأن يحقق دعاءها في حق أولادها.

الجنازة الثانية للمرحوم شيخ بشير أحمد من لاهور، وقد توفِّي في الأيام الماضية عن عمرٍ ناهز سبعًا وتسعين سنة. إنا لله وإنا إليه راجعون. كان بفضل الله تعالى من الموصين. وخلَّف ثلاثة أبناءٍ وخمس بنات. وهو الابنُ الأصغر للمرحوم شيخ محمد دين، مختار عام صدر أنجمن أحمدية. وكان أخًا أصغر للمرحوم شيخ مبارك أحمد، الأمير والمبشِّر المسؤول في شرق إفريقيا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة، ولشيخ نور أحمد منير المبلِّغ في البلاد العربية.

كان قائمًا بالتهجُّد، مواظبًا على الصوم والصلاة، بشوشًا، صاحبَ أخلاقٍ عالية. وكان من العاملين المخلصين للجماعة في لاهور، وعضوًا نشيطًا في الهيئة الإدارية المحلية برئاسة السيد شودري أسد الله خان والسيد شودري حميد نصر الله. وشغل منصبَ رئيس منطقته لأكثر من عشرين سنة، وكان يؤدي شؤون الجماعة بأحسن أسلوب. كما كان له دورٌ مهمٌّ في بناء مسجد وشراء أملاكٍ أخرى للجماعة. وكان يشارك بحماسة في المشاريع المالية للجماعة، ويوصي أبناءه بذلك أيضًا.

وكان على علاقة وثيقة جدًّا بالخلافة الأحمدية، محافظًا عليها دومًا، ومعلما أبناءه وأقاربه إياها. وأنا شاهدت بنفسي أنه إنسان متواضع للغاية، وكان يلقى الناس بكلِّ تواضع. تقول ابنته السيدة آصفة سعيد الله إنه كان يتلو القرآن بعد الفجر بصوتٍ جميلٍ جدًّا، وكان ذلك سببًا في تربية جميع أبنائه.

وكذلك تقول ابنةٌ أخرى له، وهي تقيم هنا: لما تزوَّجتُ في ربوة قال لي: أنتِ محظوظةٌ جدًّا إذ تذهبين إلى المركز، ربوة وأسأل الله أن يوفِّقك لتربية أولادك تربيةً صالحة. فعلى الرغم من كونه رجل أعمالٍ، لم يكن يُكثر من أحاديث الدنيا، بل كان يُعلِّم أبناءه الدين. نسأل الله تعالى أن يعامله بالمغفرة والرحمة، وأن يحقق دعاءه في حق أولاده آمين.

****